مقدمة

أتناول في هذه السلسلة الشعائر والطقوس التي يمارسها اليهود والتي تميزهم عن غيرهم من أتباع الديانات والعقائد الأخرى، وأحاول أن أرصد تطور الشريعة اليهودية، والتأثيرات التي خضعت لها في مراحل تطورها. والجديد الذي أقدمه في هذه السلسلة، والذي يميزها عن غيرها من الكتب أو الموسوعات التي تناولت هذا الموضوع من قبل أن هذه السلسلة تتناول الشعائر اليهودية والطقوس من الناحية التشريعية ومن الناحية العملية أيضًا.

فهذه السلسلة تستقي مادتها من مصادر التشريع اليهودي، وتتناول الشعيرة أو الطقس كما وردت في العهد القديم، ثم تعرض لما طرأ عليها من تطور في كتاب المشنا وشروح التلمود، ثم تناقش ما جاء عنها في كتاب تثنية الشريعة لموسى بن ميمون (1135 م – 1204 م)، أي أنها تتبع الشعائر اليهودية منذ نشأتها، وتوضح لماذا فُرضت أو وُضعت ؟ وما طرأ عليها من تطور في كل مصدر، وفي النهاية تعرض لكيفية ممارسة اليهود هذه الشعائر عمليًا في عصرنا الحالي.

ونظرًا لأن هذه السلسلة ليست موجهة للقارئ اليهودي، وإنما للقارئ العربي غير اليهود، فقد بدأتُ دراسة كل شعيرة بتوضيح معناها في اللغة العربية ثم في اللغة العبرية، وتناولت بعد ذلك مفهومها عمومًا، ثم مفهومها في الإسلام، أو ما يشبهها في الإسلام لكي أبسطها للغالبية العظمى من القراء، ثم أتطرق لمفهومها في اليهودية.

ولم أكتف بوصف الشعيرة أو الطقس في كل مصدر من مصادر التشريع اليهودي، وإنما تدخلت بالشرح والتحليل أو التعليق لتوضيح ما غمض منها، أو للإشارة إلى وجود تأثير أجنبي على شعيرة ما أو طقس من الطقوس، أو لتصحيح ما يتردد حولها من مغالطات.

ونظرًا لأن الهدف من هذه السلسلة ليس التأريخ للتشريع اليهود، فقد تجنبت -في بعض الأحيان- ذكر بعض التفاصيل الدقيقة المرتبطة بأداء الطقوس أو الشعائر والتي رأيت أنها قد تشتت ذهن القارئ غير اليهودي، أو قد تصرفه عن متابعة القراءة، وفي هذه الحالة سيكون ضررها أكثر من نفعها. وقد لا أتناول -في أحيان أخرى- طقسًا من الطقوس في عصر بعينه، لعدم أهميته في ذلك العصر، كما فعلت في مسببات النجاسة وكيفية الطهارة، فلم أتناولها في العصر الوسيط، ولم أناقش ما ورد عنها في كتاب تثنية الشريعة، واكتفيت فقط بما يتعلق بالصلاة أو الاستعداد للصلاة؛ لأن موسى بن ميمون قد تأثر في هذه المسألة بكتب الفقه الإسلامي، ونقل عنها كيفية الطهارة وتهيئة الجسد والملبس والمكان للصلاة.

والسبب الذي دفعني إلى تناول الشعائر اليهودية والطقوس في كتاب تثنية الشريعة «مشنه تورا» الذي وضع في نهاية القرن الثاني عشر الميلادي (1177م) في مصر أن مؤلفه موسى بن ميمون شرح في كتابه كل التشريعات التي جاءت في المشنا (63 بابًا في ستة مجلدات) وما عليها من شروح في التلمود، وقام - وهو فرد- بما عجزت عنه عدة أجيال من علماء التلمود البابلي والتلمود الأورشليمي، فعلماء التلمود البابلي لم يشرحوا إلا 37 بابًا من أبواب المشنا، وشرح علماء التلمود الأورشليمي 39 بابًا فقط.

وعلى حين ترك علماء التلمود البابلي أبوابًا مهمة لم يشرحوها؛ إما لانقراض تشريعاتها، أو لتوقف العمل بها في عصرهم في بابل، مثل: التشريعات المتعلقة بالأرض وزراعتها والتي جاءت في كتاب البذور «سدر زراعيم»؛ لأنها لا تطبق خارج أرض فلسطين، ومثل كتاب الطهارة «سدر طهاروت» الذي يتناول أحكام النجاسة وكيفية الطهارة؛ لأنه- على ما يبدو- قد توقف العمل بها في عصرهم، ومثل باب مقاييس الهيكل الثاني «مَسْخِت مِدُّوت»؛ لأن الهيكل قد دمر عام 70م ولم يعد له وجود في عصرهم. نجد موسى بن ميمون يقوم بشرح هذه الكتب والأبواب شرحًا مفصلاً سواء ما انقرض منها أم ما ظل منها ساريا.

ويعد كتاب تثنية الشريعة أشمل كتب الأحكام التي ظهرت، ليس فقط في العصر الوسيط بل على مدى العصور حتى الآن. فلقد قام موسى بن ميمون بمفرده بتجميع كل

التشريعات والأحكام التي وردت في مصادر التشريع اليهودي من العهد القديم والمشنا وملحقاتها والتلمود وتفاسيره وفتاوى الجاءونيم، وأدخل الكثير من التعديلات على التشريع اليهودي، وأكمل مواضع النقص فيه، وطوره لكي يلائم عصره. وكان ابن ميمون يضع نصب عينيه القرّائين؛ وهم الفرقة اليهودية التي انشقت في القرن الثامن الميلادي، والتي علا شأنها في عصر ابن ميمون والتي رفضت المشنا والتلمود ولم تعترف بهما؛ لذلك حاول أن يبرز في تثنية الشريعة أن أساس التشريعات التي وضعها الربانون هي الفرائض الـ 613 التي جاءت في التوراة؛ لذلك بدأ كل باب بذكر عدد الفرائض الموجودة فيه، وعدد الأوامر والنواهي فيها. وحاول أن يستبعد أو يتجنب المطاعن الثلاثة عشر التي وجهها القراءون للربانين.

وحاول موسى بن ميمون في عمله هذا أن يثبت المذهب الرباني، ويأتي له بسند من العهد القديم ويفتح الباب أمام القرائين للعودة إلى حظيرة اليهودية.

جاء كتاب تثنية الشريعة في أربعة عشر مجلدًا، راعى فيه ابن ميمون التصنيف الموضوعي مثل كتب الفقه الإسلامي، وخالف تصنيف المشنا والتلمود. ولم يقتصر تأثر ابن ميمون بالفقه الإسلامي في التصنيف، بل كان الفقه الإسلامي بمثابة النموذج الذي اقتدى به في تجديد الخطاب الديني اليهودي في ذلك العصر، وهو في عمله هذا يحاكي القرائين الذين سبقوا الربانين في التأثر بالإسلام وبالمعتزلة على وجه الخصوص.

لقد وضع ابن ميمون كتاب تثنية الشريعة في ظل ظروف غاية في الصعوبة، فقد كان العالم يعاني في ذلك العصر من التعصب الديني والعرقي، كما كانت الحروب الصليبية لم تضع أوزارها بعد. وكانت الفرقة الربانية تعاني مما يوجه لها من مطاعن من القرائين الذين تقربوا من الحكام المسلمين، وأوعزوا إليهم أن الربانين هم الذين حرفوا التوراة.

وفي ظل هذه المصائب والنوازل ظهرت التوقعات المسيحانية بين اليهود والربانين، ويبدو أن موسى بن ميمون كان يتوقع قرب حلول الخلاص، وينتظر مجيء المسيح المخلص، ويتضح ذلك من ردوده على يهود اليمن في «إجّرت تيمان» ومن أركان الإيمان اليهودي التي وضعها وجعلها ثلاثة عشر ركنًا- في مقابل الثلاثة عشر مطعنًا-

ومن بينها الإيمان بمجيء المسيح المخلص، وانتظاره مهما تأخر. ويفسر هذا الأمر الكثير من التشريعات التي أوردها ابن ميمون في كتابه، وسبب حرصه على ذكرها. فكتاب تثنية الشريعة اسم على مسمى، فهو ناسخ للشريعة اليهودية. ومن هنا كان حرصنا على أن نفرد له مكانًا في أبواب وتشريعات هذه السلسلة.

ونظرًا لأن كتاب تثنية الشريعة أصبح من المرجعيات الدينية لليهود المتدينين في عصرنا الحالي، ونظرًا لتأثر موسى بن ميمون فيه بالفقه الإسلامي شكلاً وموضوعًا؛ فقد رأيت أن أشير إلى الأثر الإسلامي في كتاب تثنية الشريعة في كل شعيرة أو طقس؛ خشية أن يظن بعض القراء أنه بما أن هذه الشعائر موجودة في اليهودية، وبما أن اليهودية سابقة على الإسلام؛ فإن محمدًا عليه الصلاة والسلام قد أخذ هذه الشعائر من اليهودية، وهي المغالطات التي يروج لها الكثير من الكتاب الغربيين، وتمتلئ بها كتابات معظم المستشرقين عن الإسلام.

يبدأ الجزء الأول من هذه السلسلة بموضوع النجاسة وكيفية الطهارة، ونناقش فيه:

- مفهوم الطهارة والنجاسة، وقد بدأتُ بمناقشة مسببات النجاسة في التوراة، وهي: النجاسة التي يسببها البَرَص الذي يصيب الإنسان، والبرص الذي يصيب الثياب، والبرص الذي يصيب البيوت، وكيفية الطهارة من كل نوع.
- النجاسة التي تسببها الإفرازات التي يفرزها جسم الإنسان، وهي: السيل (السيلان) والمني، ودم الحيض، والاستحاضة، ودم الوضع، ودم النفاس، وكيفية الطهارة من كل منها.
- النجاسة التي تسببها جثث الموتى من الإنسان والحيوان والدبيب وكيفية الطهارة منها.
- الأطعمة النجسة، وتشمل لحوم بعض الحيوانات والطيور والدبيب والكائنات البحرية.

ثم انتقلت إلى عرض مسببات النجاسة في المشنا، وتقسيم العلماء النجاسة إلى أصول وفروع تبعًا لمصدرها وشدتها وكيفية انتقالها ودرجاتها، وناقشت ما أضافه علماء المشنا إلى مسببات النجاسة التي حددتها التوراة، وهي كالتالي: يد الإنسان، وغير اليهود، وأرض غير اليهود، والعبادات الأجنبية، والمنطقة المحيطة بالقبر.

كما ناقشت كيفية الطهارة من كل نوع من أنواع النجاسة (الأصول والفروع) بالنسبة للإنسان والثياب والبيوت أو الأواني والأوعية والأدوات. وتناولت كذلك نجاسة الطعام والشراب وكيفية انتقالها ودرجاتها.

وختمت موضوع النجاسة بمناقشة ما يطبق حاليا في إسرائيل من أحكام وتشمل: نجاسة الحيض والنفاس، ونجاسة قذف المني، ونجاسة غير اليهود، ونجاسة أواني غير اليهود.

وقد عرضت لكيفية الطهارة في كل حالة، وأوردت الأحكام الخاصة بالطعام والشراب، والحيوانات والطيور التي يحل أكل لحومها، وكيفية إعداد اللحم للأكل كي يكون حلالاً من الناحية الشرعية، وما يحل أكله من الكائنات البحرية وما يحرم، وما يحرم أكله من الدبيب والحشرات، وما يجب مراعاته عند شراء المنتجات الغذائية أو المعلبات، وما يحرم من الخمور والمشروبات الكحولية. واختتمت هذا الموضوع بقائمة المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها.

ثم يأتي الموضوع الثاني من هذه السلسلة تحت عنوان: <u>الصلاة والدعاء</u>.

أما موضوع الصلاة والدعاء فقد آثرت أن أتناوله كما عرضه موسى بن ميمون في كتاب تثنية الشريعة؛ وذلك لعدة أسباب:

1 – أن ابن ميمون صنف كتابه تصنيفًا موضوعيًا، واتبع في ذلك كتب الفقه الإسلامي.

2 – اعتمد ابن ميمون في عرضه على ما جاء في المشنا والتلمود من أحكام وتأويل واجتهادات.

3 – نقل ابن ميمون الكثير من الأحكام من كتب الفقه الإسلامي في محاولة منه لتجديد الدين اليهودي، ولكنه لم يشر إلى ذلك.

ولهذه الأسباب مجتمعة رأيت أن أعرض لما جاء في كتاب تثنية الشريعة عن الصلاة والدعاء، وأن أوضح مصدر التشريع في المواضع التي تتطلب ذلك، وبذلك أكون قد عرضت كل ما جاء عن الموضوع سواء في العهد القديم أو المشنا أو التلمود أو العصر الوسيط في آن.

وقد بدأتُ بتحديد مفهوم الصلاة ومعناها اللغوي في العربية والعبرية، والأقسام التي تنقسم إليها الأدعية في اليهودية بوجه عام.

جاء موضوع الصلاة والدعاء كما عرضه موسى بن ميمون في اثنتي عشرة مسألة، هي:

متى وضعت الصلاة ؟ ماهية الصلاة، مواقيت الصلاة، الشروط الواجب توافرها عند الصلاة، صلاة الفرد، النواهي المتعلقة بالصلاة، الورد اليومي ودعاء المناسبات، أحكام صلاة الجماعة والإمامة، شعائر صلاة الجماعة، استحضار القلب في الصلاة، أحكام المعبد وأماكن دراسة الشريعة، قراءة التوراة في المعبد.

وقد التزمت بمجمل ما جاء في كتاب تثنية الشريعة من أحكام، وجاء تعليقي في هامش الصفحات.

ثم انتقلت بعد ذلك إلى العصر الحديث فعرضت الصلاة والدعاء كما يؤديها اليهودي الملتزم في إسرائيل حاليًا، وتتبعت ما يؤديه المرء من أدعية وصلوات منذ أن يستيقظ في الصباح إلى أن يذهب إلى فراشه ليلاً، وتمثلت في: أدعية قبل الشروق عندما يستيقظ من نومه، دعاء الخروج من الخلاء، دعاء الشكر على استمرار الحياة، دعاء المسح على عضادة الباب، دعاء ارتداء وشاح الصلاة، دعاء ارتداء (التفلين) عصابة الرأس والذراع، دعاء دخول المعبد، شعائر صلاة الشروق (شحريت)، دعاء «قديش دربنان» وهو دعاء لدارسي الشريعة، فقرات التسبيح «بسوقي دزمرا»، دعاء «قديش اليتيم»، دعاء «باركوا»، نص أدعية الصلاة «شمونه عسره»، التضرع، قراءة التوراة في المعبد

يومي الاثنين والخميس، صلاة الأصيل «منحا»، الوقت المخصص لدراسة الشريعة الشفاهية، صلاة الليل «عربيت»، دعاء قبل النوم «اجعلنا نضطجع»، واختتمت الموضوع بملاحظات على ما جاء فيه من أحكام، ثم قائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في هذا الموضوع.

أما موضوع الصوم فقد عرضته عرضًا تاريخيًا. فبدأته ببيان مفهوم الصوم ومعناه اللغوي في العربية والعبرية، ثم تتبعت ما جاء عن الصوم في المقراء أي في العهد القديم، وتناولت الأسباب التي فرض الصوم من أجلها في ذلك العصر، وما ارتبط به من طقوس.

وانتقلت بعد ذلك إلى الصوم كما جاء في المشنا والتلمود، وأوضحت أن العلماء قد ميزوا بين ثلاثة أنواع من الصوم:

1 –صوم فرضته التوراة، وهو صوم يوم الغفران.

2 –صوم جماعي فرضه العلماء على الجمهور عند الشدائد والنوازل.

3 –صوم فردي فرضه العلماء على من يرى حلمًا سيئًا.

وتناولت ما أضافه علماء المشنا من أحكام خاصة بصيام يوم الغفران إضافة إلى ما حرمته التوراة في صيام هذا اليوم، وما أضافوه بشأن من يتعدى هذه النواهي، والفئات التي يحل لها الإفطار في يوم الغفران، والأعمال التي يحل القيام بها في هذا اليوم بصفة استثنائية، والخطايا والآثام التي لا تكفرها التوبة ولا صوم يوم الغفران.

وقَسَمتُ الصوم الذي فرضه علماء المشنا على الجمهور إلى ثلاثة أقسام:

1 –الصوم طلبًا للمطر.

2 –الصوم عند الشدائد والكوارث.

3 –الصوم في ذكرى الأحداث الأليمة.

عرضت في القسم الأول ميقات طلب المطر في الصلاة قبل الشروع في الصوم، ثم مراحل الصوم طلبًا للمطر، وهي خمس مراحل، ثم عرضت الطقوس التي تقترن بالصوم الجماعي طلبًا للمطر وتتمثل في:

أ- طقوس الحزن والحداد.

ب- طقوس الصلاة في أيام الصوم السبعة، وأدعية طلب المطر التي تقال فيها.

جـ- طقوس النفخ في البوق، وعدد الأبواق اللازم لأداء الفريضة، وسبب اقتران النفخ في البوق بالصوم.

ثم تناولت القسم الثاني؛ وهو الصوم عند الشدائد وفي الكوارث، وما ذهب إليه العلماء في تحديد الشدائد، والأسباب التي تعفي المرء من هذا الصوم.

أما القسم الثالث فهو الصوم في ذكرى الأحداث الأليمة التي حدثت لبني إسرائيل، وأوضحت فيه أن علماء المشنا لم يتناولوا سوى حادثين فقط من بين أربعة أحداث أليمة جاء ذكرها في سفر زكريا 8 / 19. فقد ناقشوا صوم السابع عشر من شهر تموز، وصوم التاسع من شهر آب.

وحدد علماء المشنا الأيام التي يحرم فيها الصوم الجماعي أو النفخ في البوق أو الضراعة في الصلاة، وهي: أيام السبت والأيام المباركة، وغرة الشهور، وعيد التدشين (حنوكا) وعيد القرعة (فوريم)، ولكنهم استثنوا النفخ في البوق وأحلوه في حالات بعينها.

وقد عرضت ما أضافه موسى بن ميمون في العصر الوسيط على تشريعات المشنا، وقد تمثل في أنه أضاف إلى ما ورد في المشنا عن الصوم الجماعي في ذكرى الأحداث الأليمة صوم الثالث من شهر تشري وهو ذكرى مقتل جدليا بن أحيقام، وصوم العاشر من طبت وهو ذكرى حصار نبوخذ نصر لأورشليم، وصوم الثالث عشر من شهر آذار وهو ذكرى صيام اليهود في هذا اليوم، وجاء ذكره في أستير 9 / 31. كما أضاف ابن ميمون شرط النية إذا أراد الفرد أن يصوم تطوعًا، وأورد حكم من يتذوق الطعام وهو صائم، ويبدو تأثر ابن ميمون بالفقه الإسلامي في هذه الأحكام.

ثم انتقلت إلى مناقشة الصوم كما يُؤدَّى حاليًا في إسرائيل، وأوضحت أنه أصبح يقتصر على صوم يوم الغفران، والصوم في ذكرى الأحداث الأليمة التي حدثت لبني إسرائيل وهي خمسة أحداث: صوم جدليا في الثالث من شهر تشري، صوم العاشر من طبت، صوم أستير في الثالث عشر من آذار، صوم السابع عشر من تموز، صوم التاسع من شهر آب.

وكختام للموضوع أوردت ملاحظات عامة على ما جاء فيه من أحكام، ثم قائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في هذا الموضوع.

والحج هو الموضوع الرابع والأخير في هذه السلسلة، وقد آثرت أن أمهد له بمقدمة عن الحج عند شعوب الشرق الأدنى القديم؛ لكي أوضح مكانة هذه الشعيرة وأهميتها عند شعوب الشرق منذ أقدم العصور، ومن ثم سبب وجودها واستمرارها في الديانات السماوية.

عرضت – بعد ذلك– شعائر الحج كركن من أركان الإسلام والدلالة اللغوية للحج في العربية، ودلفت من ذلك إلى معناه في معاجم اللغة العبرية، ثم تناولت شعيرة الحج كما جاءت في التوراة وميقاتها والهدف منها وعقوبة من لا يؤديها في ميقاتها.

ثم انتقلت إلى أحكام الحج كما عرضها كتاب المشنا، والتطورات التي طرأت على حياة اليهود، والتي أدركها علماء المشنا، ومن ثم قاموا بتجديد الخطاب الديني لكي يواكبوا هذه المستحدثات.

قام علماء المشنا بتحديد مكان الحج، وهو الأمر الذي لم تحدده التوراة، فقد اكتفت بأن وصفت مكان الحج بأنه: «المكان الذي يختاره الرب إلهك». كما حدد علماء المشنا من هم المكلفون بأداء شعيرة الحج، والمناسك التي يلتزم الحاج بأدائها، والشروط الواجب توافرها في القرابين التي يقربها الحاج، وأحكام الطهارة في الحج سواء طهارة المكان أو الملبس أو الطعام والشراب، وحكم من تفوته فريضة الحج.

ثم تناولت بعد ذلك أحكام الحج في كتاب تثنية الشريعة ، وأوضحت سبب اهتمام موسى بن ميمون بهذه الشعيرة، كما بَيَّنْتُ طريقته في تصنيف أحكام الحج، ولماذا خالف تصنيف علماء المشنا، ومناسك الحج التي أضافها إلى ما جاء في المشنا.

وأخيرا عرضت شعيرة الحج كما تؤدى حاليا في إسرائيل، وما أضيف إلى أعياد الحج(عيد العرش، وعيد لفصح) من دلالات مسيحانية تتعلق بالخلاص، وبمجيء المسيح المخلص، بدلا من أن تعود إلى طبيعتها الأولى كأعياد ذات طابع زراعي بعد استقرار اليهود في إسرائيل ومزاولة مهنة الزراعة.

ثم عرضت طقوس عيد العرش فقط كعيد من أعياد الحج؛ لأنه الوحيد الذي وُصف ب» حج أي عيد» في المقرا، ولأن عيد الفصح ليس عيدا للحج- كما اتضح من عرضنا- بالإضافة إلى أن عيد الأسابيع عيد ذو طابع زراعي، ولم تُضف إليه دلالات مسيحانية في عصرنا الحالي.

وقد تطرقت إلى الحج عند السامريين؛ نظرا لأنهم يقيمون حاليا في إسرائيل، ويؤدون شعيرة الحج، ويخالفون باقي اليهود في بعض الشعائر.

وقد ختمت موضوع الحج - وهذا الجزء من هذه السلسلة- بفقرة أوجزت فيها أهم التطورات التي طرأت على الحج كشعيرة توراتية، وعلى عيد العرش كعيد من أهم أعياد الحج.

وبعد؛ فقد أردت لسلسلة الشعائر اليهودية والطقوس أن تلبي حاجة القارئ العربي الشغوف الذي يسعى إلى المعرفة بوجه عام ، كما تلبي حاجة القارئ المتخصص، فيجد فيها المعلومة الدقيقة التي قد يصعب عليه العثور عليها في مرجع عربي آخر.

ويطيب لي أن أهدي ثمرة عملي هذا إلى روح أستاذيّ الجليلين؛ الأستاذ الدكتور: حسن ظاظا، والأستاذ الدكتور: رشاد الشامي رحمهما الله وأسكنهما فسيح جناته، فقد كانا وسيظلا نبراسًا لي أهتدِي به في أحلك الظروف.

وختامًا أرجو أن تكون هذه السلسلة معينًا وهاديًا لكل من يسلك طريقا يلتمس فيه علمًا، وأن تكون زلفى تقربني إلى الله، فهو غايتي عليه توكلت وإليه المآب.

ليلى إبراهيم أبو المجد

القاهرة 12/ 7/ 2012م